المورد المجلد الخامس ربيع ١٩٧٦ العدد الاول

نحو خطة عربية لتجميع تراثنا المخطوط

بقلم الدكتور
عبد الستار الحلوجي
الاستاذ المشارك بكلية اللغة العربية
والعلوم الاجتماعية – جامعة الامام
محمد بن سعود الاسلامية – الرياض

مقدمة :

لعلنا لا نبالغ اذا قلنا ان اللغة العربية هي اغنى لغات العالم بتراثها المخطوط ؛ فلم يقدر للغة من اللغات القديمة أو الحديثة ان تمتد بها الحياة كلغة للحديث والتعامل والثقافة عند شعب من الشعوب كما امتدت باللغة العربية التي نيفت على خمسة عشر قرنا من الزمان ابتداء من العصر الجاهلي وحتى هذا العصر الذي نعيش فيه . وطوال تلك القرون كانت اللغة العربية حية متجددة قابلة لاستيعاب كل جديد دون ان تفقد صلتها بمنابعها الاولى او تتنكر في يوم من الايام لتلك المنابع . وللقرآن الكريم يرجع الفضل في هذه الظاهرة الفريدة في تاريخ البشر ، فهو الذي حفظ تلك اللغة ومنحها سر الحياة حين جعل منها قرآنا يتلى في الصلاة ، تلهج به السنة المسلمين في مشارق الارض ومغاربها وان تناءت ديارهم ومنازلهم واختلفت اوانهم والسنتهم .

ولقد تكفل رب العزة بالحفاظ على كتابه العزيز الى ان تبدل الارض والسموات ، فخاطب رسوله صلوات الله وسلامه عليه بقوله « لا تحرك به لسانك لتعجل به ، ان علينا جمعه وقرآنه » (١) . وعاد يؤكد هذه الحقيقة في قوله سبحانه « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .(٢)

ومعنى ذلك ان لغة القرآن باقية ما بقي انسان على ظهر الارض يصلي لله ويسجد له ، وما بقي لسان يوحد الله ويشهد بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) سورة القيامة ، آية ١٦–١٧ .
(٢) سورة الحجر ، آية ٩ .

وهذه اللغة المقدسة التي اختارها الله لكتابه الكريم ، والتي بلغت من العمر اكثر من الف عام وخمسمائة هي التي استوعبت حضارتنا وقيمنا وثقافتنا ، وهي التي كتب بها تراثنا المخطوط .

ولعل ذلك يثير سؤالا عن هذا التراث وهل هو عربي ام اسلامي . وغني عن القول ان التراث العربي كله تراث اسلامي ، لا يستثنى من ذلك الا نزر يسير لا يكاد يذكر . ولقد فطن كارل بروكلمان الى هذه الحقيقة حين تصدى لعمل نبت بمخطوطات التراث العربي واماكن وجودها (٣) ؛ فاستبعد كل ما هو عربي مسيحي على اساس انه لا يمثل الا نسبة ضئيلة جدا من تراث العرب ، فضلا عن انه لا يمثل روح الامة العربية وضميرها .

والعرب قبل الاسلام لم يكونوا امة ولم تكن لهم حضارة ولا ثقافة تستحق التسجيل ، ولم يكن لهم تراث فكري او عقائدي يحرصون على تدوينه او اقتنائه . كانت الوثنية عقيدتهم ، وكان الشعر تراثهم ، وكانت الكتابة قليلة الانتشار ونادرة الاستعمال بينهم لان حياتهم التي كانوا يحيونها في ذلك الوقت لم يكن فيها شيء يستدعي التسجيل ، ولم تكن مواد الكتابة وادواتها هي الاخرى متاحة لهم . وكانت النتيجة الطبيعية لذلك ان العصر الجاهلي لم يخلف لنا تراثا مكتوبا ، فليس في العالم كله كتاب واحد مخطوط يرجع الى هذا العصر .

ومعنى ذلك ان التراث العربي المخطوط كله تراث اسلامي(٤) والعكس صحيح، فليس كل التراث

(٣) في كتابه « تاريخ الادب العربي » .
(٤) باستثناء ما انتجه العرب غير المسلمين ، وهو يمثل الا نسبة ضئيلة جدا من هذا التراث .

الاسلامي عربيا . ذلك ان شعوبا اسلامية كثيرة احتفظت بلغاتها الاصلية او ارتدت الى تلك اللغات بعد فترة من استعمال اللغة العربية كلغة للثقافة والتعامل اليومي ، ومع مرور السنين تجمع لدى تلك الشعوب تراث اسلامي مكتوب بلغاتها المحلية كالتركية والفارسية والاوردية وغيرها من اللغات الشرقية ، وكالانجليزية (٥) وغيرها من اللغات الاوربية الحديثة .

وتوزيع المسئولية بهذا الشكل هو تعبير عن جسامتها وادراك لثقل التبعة وعظمها . ولسوف تتضح ابعاد هذه المسئولية وجسامتها من خلال عرض اوضاع المخطوطات عندنا وما نطمح اليه بالنسبة لهذا التراث العزيز علينا جميعا .

وللذين يدفعهم حماسهم للاسلام وتراثه الى الدعوة لشتى مشروعات طموحة كمشروع تجميع التراث الاسلامي بمختلف لغات البشر اقول ان آمالنا ينبغي الا تكون فوق طاقتنا ، وان حماسنا للاسلام يصح في غير موضعه ان هو دفعنا الى اتخاذ قرارات وتوصيات تظل حبرا على ورق لانها تستعصي على التنفيذ .

الاوضاع الراهنة للمخطوطات العربية :

وليس يخفى على احد ان اوضاع المخطوطات في مختلف الدول العربية والاسلامية متردية الى حد يصبح معه العلاج مضنيا وطويلا . فهي اولا مبعثرة بين مختلف الهيئات الحكومية والاهلية والافراد . فالمكتبات الوطنية او القومية في معظم تلك الدول تقتني مجموعات كبيرة منها على اعتبار ان مسئوليتها الاولى هي تجميع تراث الامة وصيانته والحفاظ عليه وتسليمه للاجيال القادمة . وبعض المكتبات الجامعية(٦) عز عليها الا تظفر من هذا التراث بنصيب فاقتنت كميات منه تتفاوت من جامعة لاخرى ، بحكمها في ذلك تاريخ الجامعة ووضع المخطوطات في الدولة التي تتبعها(٧) . وقبل ان تخرج المكتبات الوطنية الى حيز الوجود كانت المساجد هي الامين على تراث الامة ، يوم ظهرت المكتبات الوطنية أبت مكتبات المساجد ان تنزل لها عن أعز ما تملكه وهو التراث الاسلامي المخطوط . وما زالت مكتبات المساجد الكبرى في معظم الدول الاسلامية تضم كنوزا من هذا التراث المخطوط وتعتبرها ارثا لها لا ينبغي التفريط فيه . وفي الجامع الازهر وجامع الزيتونة والجامع الكبير بصنعاء الوف من المخطوطات التي لم يتم حصرها دقيقا حتى الآن .

ولم يكن اهتمام الافراد بتجميع نفائس المخطوطات باقل من اهتمام الدول والحكومات ، فظهرت مكتبات خاصة تضم من بين مقتنياتها اعدادا ضخمة من المخطوطات لعل من اشهرها واهمها مكتبة عارف حكمت في المدينة المنورة ، ومكتبة احمد تيمور التي ضمت الى مجموعة دار الكتب بالقاهرة ، ومكتبات استانبول التي ما زالت تحمل اسماء اصحابها وما اكثرهم !

وليس تشتت المخطوطات بين مختلف انواع المكتبات في الدولة الواحدة هو المظهر الوحيد لسوء حالها ، فالذي يدخل مخازن اي مكتبة عربية يشعر باسى عميق لما تلقاه المخطوطات من اهمال بعد ان تحولت في نظر الكثيرين من المسئولين عنها — سواء كانوا اصحابها او القائمين عليها من موظفي الدولة — الى مواد متحفية تعرض منها النسخ التي تتحلى بالوان من الفن في كتابتها او زخرفتها او تجليدها ، ويكدس الباقي أكواما في المستودعات ليكون طعما للآفات والحشرات دون ان يحظى باي نوع من الصيانة ، بل حتى دون ان يراعى في وضعه ابسط الاسس العلمية لصف الكتب على الارفف . فبعض الارفف يزدحم ازدحاما شديدا حتى لتحشر عليه المخطوطات حشرا يفسد اوراقها وتجليدها، وبعضها الاخر تلقى عليه المخطوطات مضطجعة او قائمة في وضع مائل يتلفها . وبلادنا بطبيعتها يغلب عليها الحرارة والجفاف اللذان يساعدان على اتلاف الاوراق والجلود ، ومخازن المخطوطات عندنا لا تعرف اجهزة تثبيت درجتي الحرارة والرطوبة واجهزة سحب الغبار والاتربة ، بل قلما تسلم من الشمس او الرطوبة او الاتربة او سوء التهوية او معظم هذه الاخطار مجتمعة .

وفي أحسن الحالات تقاوم الحشرات التي تكثر في مثل هذا الجو لمنعها من الاقتراب من الكتب ، اما تلك التي استقرت داخل المخطوطات فهي تتمتع بالامن والاستقرار حتى تنخل اوراقها نخلا ، واما تعقيم المخطوطات وترميمها فما زالت اساليبه المستعملة عندنا قاصرة عاجزة عن ان تصون لنا ما سلم من تلك الآفات رغم ما احرزه العلم من تقدم

---

(٥) كما هو الحال بالنسبة لكثير من الكتابات الاسلامية التي تصدر عن مفكري الباكستان .

(٦) مثل مكتبة جامعة الرياض ومكتبة جامعة القاهرة .

(٧) فمثلا جامعة الرياض اهتمت بتجميع المخطوطات لعدم قيام دار الكتب الوطنية بهذه المهمة ، فهي قرب الى المكتبات العامة بوزارة المعارف ما يشبه الى طبيعة دورها في المجتمع.

في هذا المجال ورغم ان حاجتنا الى الاستفادة من هذه المكتشفات اكثر من حاجة اي دولة في الشرق او في المغرب لانه ما من دولة من تلك الدول تملك تراثا مخطوطا يتجاوز عمره اكثر من الف عام كالذي نملـــك .

فاذا تركنا مخازن المخطوطات وبحثنا عـن فهارسها طالعنا جانب آخر من جوانب المأساة . فلا توجد دولة عربية لديها فهرس كامل بما عندها من مخطوطات . بل ان معظم المكتبات الكبرى التي تقتني اعدادا كبيرة من المخطوطات ليس لديهـــا فهارس مستوفاة بما لديها من تراث مخطـــوط . نعم ، هناك فهارس كثيرة نشرتها بعض المكتبـــات ولكنها ناقصة وغير دقيقة في معلوماتها من ناحية ، ومن ناحية اخرى لا يكمل بعضها بعضا بحيـــث تعطينا صورة متكاملة عما لدى المكتبة من مخطوطات . وفهارس معهد المخطوطات بجامعة الدول العربيـــة وفهارس دار الكتب بالقاهرة خير دليل على مانقول . فكثير من المخطوطات التي صورها المعهد لم تدخـل فيما نشر من فهارسه ، وكثير من مخطوطات دار الكتب ومخطوطات المكتبات الخاصة التي اضيفت الى رصيدها كمكتبة تيمور وحليم وطلعت وخليـل اغا لم يدخل في فهارس مطبوعة حتى الآن .

وعلى مستوى التخصص الاكاديمي لا توجـد عندنا دراسات عن المخطوط العربي لا في اقســام المكتبات ولا في اقسام العلوم الاسلامية واللغة العربية والتاريخ وغيرها من الاقسام المتصلة بالتراث اتصالا وثيقا . وما زالت موضوعات الخطاطة (الباليوجرافي) وتاريخ المخطوط وصناعة الورق والمداد والاطـوار التي مرت بها كل منهما (٨) ، ما زالت تلك المجالات اردنا بكرا تحتاج الى حرث كثير وجهود خاصـــة تكشف عن مخبوئها وتخرج منها تمارها المرجوة . ومع انه توجد في الشرق والغرب(٩) معاهد متخصصة في صيانة المخطوطات وترميمها ، الا اننا لم ندخـل هذا المجال بعد .

وجوهر المشكلة عندنا ان المتخصصين في علوم المكتبات ينفرون من المخطوطات بينما تتجاذبهم اعمال التزويد والفهرسة والتصنيف والبيلوجرافيا والارشاد (١٠) . ومع ان عمليات الصيانة والترميم لا تحتاج الى متخصص في علوم المكتبات بقدر حاجتها الى المتخصص في علم الحشرات ، الا ان ذلك لا يحل المشكلة او جانبا منها . فاذا كان المكتبيون يزهدون في التعامل مع المخطوط ، فطبيعي ان يكون زهـد العلميين فيه اشد . فمن يوفد اذن لهذه المعاهـد الاجنبية للدراسة وسائل الصيانة وطرق الترميم ؟ وبالدرجة العلمية التي سيحصل عليها ؟ وكيـف يعامل وظيفيا بعد انتهائه من تلك الدراسة ؟ وما طبيعة العمل الذي سيقوم به ؟ وهل سيغريه بالبقاء فيه أم سينفره ويدفعه الى الفرار منه ؟ وما الغرض الوظيفية التي ستفتحها امامه مثل تلك الدراسة ؟

هنا نلمس عصب المشكلة الحقيقية في العمـل المكتبي وفي التعامل مع المخطوطات بصفة خاصة . فطبيعة العمل غير مغرية ، والجزاء المادي لايتناسب مع الخبرات والمهارات اللازمة للنهوض به ، فلماذا تلوم الناس اذن ان هم انصرفوا عنه الى ما هو أجدى عليهم دانفع لهم ؟ تلك مشكلة نطرحها للبحث لانهـا جديرة بان يعنى بها المهتمون باعداد المكتبيين وان ينفذوا الى اعماقها ويلتمسوا لها الحلول .

سبيل الاصلاح :

واذا كانت هذه هي الاوضاع الراهنة لتراثنا المخطوط فالسؤال الان هو : ما الذي يجب علينـا تجاه هذا التراث ؟

لا شك ان أوجب الواجبات واولى المسئوليات التي ينبغي ان نتصدى لها هي جمع ما تفرق مـن مخطوطات هذا التراث وبذل كل جهد ممكن للحفاظ عليها حتى تحملها أمواج الزمن الى أجيالنا اللاحقة في احسن صورة وانضرها . وهنا يبرز سؤالان على جانب كبير من الاهمية ، أولهما : من الذي يجمعها ؟ والثاني : كيف يتم التجميع ؟

واول خطوة على طريق التجميع ينبغي ان تتم على مستوى الدولة ، ونقصد بذلك ان توكل هذه المهمة في كل دولة الى جهة واحدة تتولى تجميـــع المخطوطات الموجودة في مختلف ارجائها واعداد مـا يلزم لها من الفهارس والقوائم البيليوجرافيـــة ، وأقرب الجهات الى طبيعة هذه المهمة هي المكتبات

---

(٨) هذه الدراسات مهمة جدا في تحديد تواريخ المخطوطات غير المؤرخة ، وحتى الان يتم هذا التحديد اجتهاديا وبالتقريب كالذي فعله صلاح الدين المنجد و Moritz في تحـديد تواريخ المخطوطات التي رجعا اليها ونقلا صفحات منها في كتابيهما : الكتاب العربي المخطوط الى القرن العاشـر الهجري و Arabic palaeography .

(٩) في الاتحاد السوفييتي وايطاليا على سبيل المثال .

(١٠) ومن اوضح الامثلة على ذلك دار الكتب بالقاهرة ، فقسم المخطوطات بها لم يدخله لسنوات طويلة موظف واحـد متخصص في علوم المكتبات .

الوطنية ، فان لم يتيسر ذلك لسبب او لآخر(١١) فأضعف الايمان ان يكون لدى المكتبة الوطنية في كل دولة فهرس كامل بكل ما يوجد على ارضها من مخطوطات سواء كانت لدى جهات حكومية او افراد . وسوف يتطلب ذلك انشاء جهاز خاص في كل مكتبة وطنية تكون مهمته البحث عن المخطوطات المبعثرة في شتى انحاء الدولة وفهرستها فهرسة وصفية دقيقة تعين على التعرف الكامل عليها .

واذا استطاعت كل دولة ان تقوم بواجبها في هذا السبيل فان الخطوة التالية تتمثل في انشاء مركز تجميع للمخطوطات على مستوى الدول العربية مجتمعة يصب فيه كل ما تجمع لدى تلك الدول من فهارس وقوائم حصر بالمخطوطات التي عندها ؛ وتكون مهمته تفريغ تلك الفهارس والقوائم على بطاقات(١٢) وترتيبها هجائيا بعناوين المخطوطات بحيث تتابع بطاقات كل كتاب في ترتيب تنازلي تتقدم فيه الاصول على الفروع . وبذلك يمكن التعرف بسهولة على أهم مخطوطة من المخطوطات المتعددة للكتاب الواحد وأين توجد ، ويتيسر للمحقق الذي يريد ان ينشر نصا من النصوص ان يتصرف على أصوله المخطوطة وأماكن وجودها في البلاد العربية .

ويمكن لهذا المركز ان يساعد المكتبات الوطنية في الدول العربية على أداء مهمتها بابقاد خبراء منه الى تلك المكتبات لوضع أسس فهرسة المخطوطات والمساهمة العملية في فهرسة المجموعات المتفرقة في المساجد او عند الافراد .

ويتبقى بعد ذلك المخطوطات العربية في الدول الاجنبية . وليس ثمة مشكلة بالنسبة لما هو موجود في مكتبات الغرب ، فكله مسجل في فهارس مطبوعة، وهذه الفهارس يمكن اقتناء نسخ منها وتفريغها على بطاقات بنفس الطريقة التي اتبعت في فهارس المكتبات العربية ، أما بالنسبة لما هو موجود في مكتبات الشرق فان الموقف يختلف لأن كثيرا من المخطوطات العربية ـ في تركيا مثلا ـ مكدس في مكتبات وخزائن كتب خاصة لا يعرف احد عنها شيئا . ومن ثم لابد أن ينشيء المركز فرعا له في استانبول تكون مهمته فهرسة المخطوطات العربية التي لم تفهرس ، على أن يعمل من كل بطاقة نسختان احداهما للمركز والاخرى تترك للمكتبة صاحبة المخطوط . ويكون من مهام هذا الفرع أيضا ارسال بعثات الى الدول الشرقية الاخرى لفهرسة ما لديها من مخطوطات عربية بنفس الطريقة السابقة . واختيار استانبول بالذات له ما يبرره ، ففيها اكبر تجمع من المخطوطات العربية التي لم تفهرس بعد ، ولم تعد عملية فهرسة تلك المخطوطات او التعريف بها امرا هينا بعد أن بَعُد العهد بين الترك وبين لغة القرآن الكريم .

ولا ينبغي لاحد ان يتصور ان ذلك تكرار لعمل بروكلمان . فالرجل لم يحص في كتابه الا ما ذكر في الفهارس المطبوعة في الشرق والغرب ، اما ما ندعو اليه فسيكون حصرا عمليا لما هو موجود بالفعل واكثره بالطبع لم يدخل في أي فهرس مطبوع .

والشيء نفسه يمكن ان تطبقه تركيا وايران بالنسبة للمخطوطات الاسلامية المكتوبة باللغات غير العربية ، وبذلك يمكن ان يأتي يوم يوجد فيه مركزان احدهما لحصر التراث العربي المخطوط والاخر لحصر المخطوطات الاسلامية المكتوبة بغير اللغة العربية .

وباكتمال حصر المخطوطات المفرقة في مختلف انحاء العالم وتسجيلها تأتي الى المرحلة التالية وهي مرحلة التجميع . وغني عن القول ان فرص الحصول على المخطوطات نفسها تتضاءل يوما بعد يوم ، فلا مفر اذن من التصوير على الميكروفيلم .

وامام الاعداد الهائلة من المخطوطات العربية والاسلامية يصبح تصوير الاصول هو نقطة البدء الطبيعية ، على ان تحمل بطاقة كل مخطوط يقع عليه الاختيار للتصوير علامة مميزة حتى لا يعاد تصويره مرة اخرى .

والسؤال الذي يطرح نفسه الان هو : كيف يتم التصوير ؟ هل ترسل بعثات تضم فنيين في التصوير واخرين في الفهرسة الى مواطن المخطوطات لتصوير ما يقع عليه الاختيار منها أم يكتفي بالكتابة الى تلك الجهات طلبا للتصوير ؟ . والطريقة الاخيرة اقل تكلفة بالطبع . ولهذا نوصي بألا ترسل بعثات تصوير الا في حالة عجز المكتبات الوطنية عن القيام بهذه المهمة ، فترسل وحدات تصوير متنقلة لتصوير ما لدى الافراد من مخطوطات قد لا يتيسر للمكتبة الوطنية في الدولة تصويرها لسبب أو لآخر .

---

(١١) كأن يمتنع بعض الافراد او الهيئات عن ان يودع ما لديه من مخطوطات في المكتبة الوطنية .

(١٢) وطبيعي ان الفهارس لا تخلو من الاخطاء سواء في الاسماء او التواريخ ، ولكن نسبة هذه الاخطاء ليست من الفداحة ولا من الخطورة بحيث تبرر اعادة فهرسة كل ما في الفهارس المطبوعة من مخطوطات .

وبعثات التصوير هذه يمكن ان تساهم فيها منظمة اليونسكو مساهمة فعالة خصوصا في مجال الاجهزة والافلام الخام .

وهذا يقودنا الى الحديث عن تجربة معهد المخطوطات . فقد دأب المعهد منذ انشائه على تصوير مختارات من المخطوطات العربية المبعثرة في مختلف انحاء العالم . وهذا يجعلنا نتساءل : ما اسس هذا الاختيار ؟ وما ادواته المتاحة ؟ وما معاييره ؟ وهل يوجد لدينا شيء من ذلك كله ؟ . للاسف لا . والنتيجة الطبيعية لذلك تحول عملية الاختيار الى نوع من الاجتهاد يخطىء مرة ويصيب مرة ، واعتمادها في جميع الحالات على خبرة الشخص الذي يختار وعلى مدى استيعابه لما هو موجود بالفعل في معهد المخطوطات .

فلكي احسن اختيار مخطوط من المخطوطات لابد ان اكون على علم بمحتواه ، وعلى علم بالموضوع الذي يعالجه وبمكانة مؤلفه بين علماء هذا التخصص ، ومكانة الكتاب بين المؤلفات في موضوعه . وهذا كله يتطلب تخصصا موضوعيا لتحديد ما اذا كان الكتاب جديرا بالاقتناء او التصوير . فاذا كانت الاجابة بالايجاب واجهتنا مشكلة النسخ المتعددة ، فمخطوطات الكتاب الواحد ليست متساوية في قيمتها كما هو الحال بالنسبة للمطبوعات ، وانما لكل منها قدره ومنزلته . فهناك الاصول والفروع وفروع الفروع .

ولن استطيع ان اختار من بين نسخ الكتاب الواحد الا اذا كان امامي بيان كامل بالنسخ المتاحة التي اختار منها . وحتى الان لا يوجد مثل هذا البيان . ومعنى ذلك ان المركز المقترح لتجميع المخطوطات خطوة كان ينبغي ان تسبق معهد المخطوطات بصورته الحالية حتى اذا خرجت بعثة من البعثات للتصوير تحركت وهي تعرف ما تريده بالضبط وما سوف تصوره من كل بلد تزوره .

ومع ان التصوير امر لا مفر منه بالنسبة للمخطوطات لعدم امكان الحصول على الاصول في اكثر الاحوال ، ومع انه يحل مشكلة المكان التي تعاني منها المكتبات بصفة عامة ، الا انه يخلق مشكلة للباحثين الذين يضطرون اما الى طلب التكبير او استعمال اجهزة قراءة الميكروفيلم . والاجهزة قد لا تتوفر بالعدد الكافي فضلا عن انها ليست عملية ولا مريحة في الاستعمال ، وتكاليف التكبير من الناحية الاخرى باهظة . وهذا يدفعنا الى ان نتساءل : هل يجب على معهد المخطوطات ان يكبر ما عنده من مصورات ؟ وهل يكبر كل ما عنده ام يختار ؟ واذا اختار فما هي اسس الاختيار ؟ واذا تجنب مشكلة الاختيار فكيف يواجه مشكلة المكان ؟ .

ان تجربة معهد المخطوطات تحتاج الى تقييم ينصفها ويضع يده على سلبياتها في محاولة لالتماس العلاج لها . ولست هنا بصدد تقييم التجربة ولكني اطرح تساؤلين اوليهما : على اي اساس يتم اختيار ما يصور ؟ والثاني : لماذا لا تمثل الفهارس التي يصدرها المعد الا قدرا ضئيلا من مقتنياته مما يجعلها تقف عاجزة عن الوفاء باحتياجات الباحثين ؟ . والتساؤلان يلتقيان عند نقطة قد تثير شيئا من الحساسية وهي الاعتماد على الفرد دائما . الاعتماد عليه في عملية الاختيار ، والاعتماد عليه في التعرف على ما هو موجود بالفعل نظرا لغياب الفهارس رغم مرور اكثر من ربع قرن على انشاء المعهد . ومهما اوتي الفرد من كفاءة ومقدرة فان احدا لا يستطيع ان يضمن له الاستمرار والبقاء لان طبيعة السلم الوظيفي تقضي بالتدرج في مختلف الوظائف وطبيعة الحياة تقضي بالموت على كل حي دون سابق انذار . فالافراد زائلون سواء كان زوالهم مؤقتا بمعنى الانتقال من وظيفة الى اخرى ، او دائما بالانتقال من هذه الحياة الى الحياة الاخرى . ومن ثم يصبح من الخطورة بمكان ان يظل معهد المخطوطات بعد هذا العمر الطويل مكبلا بافلال الفردية ، اسيرا لخبرات فئة محدودة من العاملين فيه بحيث لا يستقيم امره في غيابهم .

واذا كانت الوظيفة الاولى والاساسية لمركز المخطوطات المقترح هي تجميع الفهارس وتعريفها على بطاقات وفهرسة ما لم يفهرس من ناحية ، ثم تصوير الاصول من ناحية اخرى ، فانه يمكن ان يضم الى هاتين الوحدتين وحدة ثالثة للتحقيق والنشر يكون اول مهامها اعداد فهرس بطاقي بجميع ما حقق ويحقق من كتب التراث (١٢) حتى يتسنى وضع خطة للتحقيق تعطي الاولوية فيها لما لم يحقق من قبل .

فاذا استقر الرأي على تحقيق كتاب معين شرع في تصوير جميع نسخه وختمت بطاقاته بخاتم معين للدلالة على ان تلك النسخ قد صورت .

---

(١٢) المقصود هنا التحقيق الجيد لان الذي حقق تحقيقا رديئا في حكم ما لم يحقق .

ومسالة التحقيق والنشر من المسائل التسي ينبغي ان تعنى بهـا الدول والحكومات العربية والاسلامية لان كثيرا من الكتب الاساسية مـن الضخامة بحيث يتكلف نشرها مبالغ طائلة ، فسي حين ان جمهورها محدود مما يجعل الناشـرين التجاريين يحجمون عن نشرها . وهنا لابد ان تقوم الدولة بواجبها فتتولى بنفسها عملية النشر .

ولا يصح ان يكون النشر مجرد طباعة كما كان الحال في اول العهد بنشر كتب التراث ، وانما ينبغي ان يكون نشرا علميا تحقق فيه النصوص وتحقق فيه عناوين الكتب واسماء مؤلفيها ونسبة الكتب الـى هؤلاء المؤلفين . ولعل من المؤسف ان التحقيق عندنا اصبح كلا مستباحا لا حرمة له ولا ضوابط لمـن يحترفه او يتصدى له ، فكل عمل له مؤهلات لابد من توافرها فيمن يقوم به الا هذا العمل فبابه مفتوح لا يرد احدا .

ولعبر تجربة في هذا المجال جديرة بان نشار اليها وهي انشاء مركز للتحقيق يتبع دار الكتب بالقاهرة حيث توجد المخطوطات . وقد مر هـذا المركز بمرحلتين متميزتين كان في اولاهما مركـز تعليم نظري تلقى فيه المحاضرات في قواعد التحقيق والعلوم المساعدة كاللغة والخط العربي والمخطوطات، ثم تحول في المرحلة الثانية الى مركز تدريب عملي لجيل من الشباب على اعمال التحقيق على ايدي نخبة من العلماء والمحققين . وكان طبيعيا ان يكون للتجربة الرائدة سلبياتها واخطاؤها . فحتى الان لم تخرج محققا واحدا وان اخرجت عددا من الكتب المحققة ، بعضها حققه الاساتذة بمعاونة الدارسين ، وبعضها الاخر حققه من لا صلة له بالمركز علـى الاطـلاق .

واذا كان هناك درس نتعلمه من تلك التجربة فهو ان عملية التحقيق استعداد وتدريب معا ، وانها لا تكتسب الا بالممارسة والمران الطويل بشرط ان يوجد الاساس العلمي الذي يقوم عليه هذا المران .

وطبيعة المركز لدار الكتب واتخاذه منها مقرا له امر طبيعي بشرط واحد هو ان تكون لدى الدار القدرة على تقديم منح دراسية لنفر من الممتازين من الجامعات الذين يرغبون في الاشتغال بعملية التحقيق. اما ان يقوم المركز على قلة من موظفي المكتبة الذين قد يفتقدون الرغبة في هذا العمل او القدرة عليـه ، فهذا ما لا يصح ان يكون .

ويوم تتحقق فكرة مركز المخطوطات المقترح انشاؤه على مستوى الدول العربية فان مركز تحقيق التراث ينبغي ان تنتقل تبعيته الى المركز الجديد بحيث يكون قسما من اقسامه ، وبذلك تنتفي عنـه صفة المحلية ويصبح مركزا عربيا اسلاميا علـى مستوى اقليمي .

ولكي ينجح مركز التحقيق هذا لابد من وضع مواصفات دقيقة لمن يحق لهم الالتحاق به بحيث يكون الحصول على الدرجة الجامعيـة الاولـى (الليسانس او البكالوريوس) هو الحد الادنى للقبول به . ولابد من ان يجمع بين الجانب العلمي النظري، والجانب العملي التطبيقي ، ولابد في النهاية ان يكون للعمل به مقابل ادبي كان يمنح درجة زمالة تعـادل الماجستير وتتيح لصاحبها التحضير لدرجة الدكتوراه بالجامعات العربية . فان لم يتيسر ذلك فلا اقل من ان تعفى درجة الزمالة صاحبها من شرط دراسـة السنة التمهيدية للماجستير بالجامعات وتتيح لـه تسجيل الرسالة مباشرة في مجال تخصصه دون تقيد بتقدير النجاح الذي حصل عليه في الدرجـة الجامعية الاولى . ويمكن ان يتحقق ذلك بشيء يسير من التنسيق بين المركز واتحاد الجامعـات العربيـة .

ولكي تكتمل صورة مركز المخطوطات المقترح بشعبه الثلاث : التجميع والتصوير والتحقيق ، ولكي تتضح تلك الصورة في اذهان المهتمين بالمخطوطات والمشتغلين بها في مختلف انحاء العالم ، لابد له من اصدار نشرة دورية ، ربع سنوية او نصف سنوية، تعرف باخباره وبما جمعه من فهارس او مصورات ، وبما تقوم شعبة التحقيق بتحقيقه من المخطوطات .

ولا بأس من ان تضم تلك النشرة بحوثا ومقالات عن المخطوطات او تعريفات معينة ، اما ان تتحول بعض اعدادها الى نشر نصوص محققة كما حـدث لمجلة معهد المخطوطات فهذا ما لا نريده لهـا بحال من الاحوال .

ولعل في انشاء مثل هذا المركز وعلى المستوى الاقليمي ما يرد للمخطوطات اعتبارها وينبه الـى ضرورة توحيد جهات الاشراف عليها في الدولـة الواحدة بدلا من ان تتعدد الهيئات التي تتخذ منها مادة لعملها ، سواء كان ذلك جمعا وتصـويرا او تحقيقا ونشرا . ففي مصر ـ على سبيل المثال ـ لا تنفرد دار الكتب وحدها بالمخطوطات وانما توجد منها اعداد كبيرة في مكتبة بلدية الاسكندرية ومكتبة الجامع الازهر ومكتبات الاوقاف والمكتبات الجامعية

والخاصة ، ولا يقتصر تحقيق المخطوطات ونشرها على مركز تحقيق التراث الذي سبق ان اشرنا اليه وانما تتعدد لجان التراث في المجالس المتخصصة كالمجلس الاعلى للشئون الاسلامية والمجلس الاعلى للفنون والاداب ، هذا بالاضافة الى الافراد الذين يقومون بالتحقيق ، والمكتبات التجارية التي تقوم بالنشر ، والمجلات العلمية التي تساهم هي الاخرى في نشر المخطوطات كمجلات كليات الاداب ومجلة معهد المخطوطات .

ولعل في انشاء هذا المركز ايضا ما يقنع اقسام المكتبات بان تجعل من المخطوطات تاريخا وفهرسة وتصنيفا وصيانة وتشريعا مجالا متميزا من مجالات الدراسة والتخصص ، وما يفتح الطريق امام دراسة المخطوطات لتدخل ضمن برامج الدراسات العليا في الاقسام التي يتصل عملها بتراثنا المخطوط من قريب كاقسام اللغة العربية والتاريخ وعلوم الدين الاسلامي وخاصة بعد ان اصبح تحقيق النصوص عملا علميا تمنح عليه الجامعات درجة الماجستير والدكتوراه .

ان الحديث عن تراثنا ومخطوطاتنا كثير ، والامة العربية والاسلامية لا ينقصها الحماس لهذا التراث ولكن الذي ينقصها هو خطة محددة المعالم واضحة الاهداف تنقذه من هذه الفوضى التي يعاني منها وتضعه على اول الطريق الى جمعه وتسجيله تمهيدا لنشره والتعريف به . ولقد حاولت في الصفحات السابقة ان اضع تصوري لما يمكن ان يكون ، وهو تصور املته سنوات طويلة من معايشة المخطوطات عملا ودراسة وتدريسا ، وارجو ان اكون قد اصبت القصد ووفقت فيه الى سواء السبيل .

* * *

PROTECTION OF MANUSCRIPTS

By
O. O. Agrawal
خبير اليونسكو بحماية المخطوطات
المتحف الوطني – نيودلهي

The first step for the protection of manuscripts it their acquisition by a museum or a library. In many countries, private persons own some very valuable manuscripts which are being destroyed because of lack of care or are being sold for export at a high price. It is, therefore, necessary that each country has an institution or centre whose responsibility should it be to acquire valuable documents. Such an institution should be given the responsibility of making a survey of the manuscripts available in the country and preparing its inventory.

Second step is to have a law for the protection of Cultural Property in each country, of which preservation of manuscripts can be made a specific subject. There are laws for the protection of antiquities in almost every country, but it is time that these laws are made more strict and uniform.

But to have an institution of collection of manuscripts or to pass a law is not enough, because all materials are subject to deterioration and damage and so are manuscripts. Probably manuscripts are much more susceptible to damage than other types of cultural property because they are written on delicate material like paper. Although it may not appear on the surface, there are constant changes going on in the material of manuscripts, because of heat, moisture, light, insects, fungus, atmospheric gases and so on. Then manuscripts can also be damaged by addidents, faulty storage, fire or mishandling. Certain manuscripts are also damaged because of bad material used for their construction. Certain types of papers deteriorate more easily than the others. Our attempt should be to preserve the manuscripts in such a manner that their

---

كلفت « المورد » الاستاذ عبدالكريم الامين بترجمة نص المحاضرة الانكليزية الى اللغة العربية تعميما للفائدة ، وفيما يلي الترجمة :

حماية المخطوطات

ان اول خطوة نخطوها لحماية المخطوطات هو تجميعها في المتاحف والمكتبات فمن ان كثيرا من الاقطار يمتلك بعض الاشخاص بعض المخطوطات ذات القيمة الجيدة وقد تعرض هذه المخطوطات الى التلف لنقص في العناية بها وقد تباع باسعار غالية ومن هنا فمن الضروري ان يؤسس في كل قطر معهد او مركز تكون مسؤوليته تملك الوثائق القيمة وان تعطى ايضا لهذا المعهد مسؤولية اعداد مسح للمخطوطات المتوافرة في القطر وتسجيلها في قوائم ..

اما الخطوة الثانية التي تعقب الخطوة الاولى فهي لابد من اصدار قانون لحماية الممتلكات الثقافية في كل قطر والتاكيد على حماية هذه المخطوطات وفي اغلب الاقطار توجد قوانين تحمي الاثار ولكن حان الوقت الذي يجعل هذه القوانين اكثر التزاما وتوحيدا ... ان وجود المعهد الذي توكل اليه تجميع المخطوطات او حتى وجود القوانين التي تشرع لحماية المخطوطات ليست كافية لان كل المواد الثقافية عرضة للتلف والخطر والضرر ومن هذه المواد المخطوطات ومن المحتمل ان المخطوطات اكثر من الانواع الاخرى عرضة للتلف والضرر لانها كتبت على مواد رقيقة مثل الورق .... ولا تظهر هذه الاضرار للعيان مباشرة لان التغيير مستمر في موادها او مواد المخطوطات نتيجة للحرارة والرطوبة والضوء والحشرات والفطريات والمناخ والغازات وغيرها وقد تعرض المخطوطات للضرر ايضا للامراض او الخطأ الحاصل من الخزن او الاحتراق او من سوء الاستعمال وقد تعرض بعض

life is extended and the effects of deterioration are stopped.

The material most commonly used for writing was paper. Here I shall confine myself with deterioration of paper.

For making of manuscripts, paper was used singly or sometimes several papers were pasted together to make a board.

DETERIORATION OF PAPER

1. Weakening of Paper

Old paper, especially the paper made of wood pulp, becomes yellow and brittle. It becomes weak because the paper fibres are affected by light, moisture and heat. Sometimes the paper is so weak that it is difficult to handle it. It is then necessary to strenghten ihe paper by various means. Sometimes it is possible to strengthen the paper by applying a solution of a good resin. At other times, it is so weak that some other means have to be adopted like lamination between two transparent sheets of cellulose acetate.

2. Presence of Acidity

Acidity, even in low concentrations, is known to deteriorate paper considerably. One of the reasons for acidity in paper is the incomplete removal of an acidic substance used for the processing of paper. Tho presence of sulphur gases in the atmospher, especially in the industrial towns, is another source of acidity. Acid if persent in paper is removed by neutralization with alkaline solutions. Manuscripts, because of the fear of washing off the ink, is difficult to manage. Neutralization with alkaline gases is also done but is less effective.

It is not only the acidity in the paper which is harmful. Direct contact of a leaf of a paper manuscript with another paper which is acidic is equally harmful. Any paper which is selected for warpping a manuscript must be tested that is a good quality and is free of acids.

3. Stains

Many manuscripts and paintings on paper become stained which in most cases indicate bad storage. Water stains are most

---

المخطوطات للخطر لكونها ذات مواد رديئة استعملت في تركيبها وهناك أنواع من الورق يعرض للتلف بسهولة اكثر من الأنواع الأخرى فلابد ان تحفظ هذه المخطوطات وفق طريقة ما للتمكن في اطالة عمرها وبذل الجهود في وقف ما يعرضها للتلف ...

اغلب المواد المستعملة عادة في الكتابة هي الورق ومن هنا سأقتصر في الحديث عن تعرض الورق للتلف فقط .. قد تكتب المخطوطة على ورق ذات طبقة واحدة او ورقة مفردة وقد تجمع عدة اوراق وتلصق سوية لتكون منها ورقة واحدة متماسكة ذات طبقة واحدة .

١ ـ تعرض الورق للتلف

ان الورق القديم ولا سيما الورق المصنوع من عجينة الخشب يكون اصفر وسهل الكسر ويصبح قصفيا اذ ان قوة هذا الورق تتأثر بالضوء والرطوبة والحرارة وقد يكون هذا الورق من الضعف بحيث لا يقوى على التداول وحينذاك لابد ان يقوى بمختلف وسائل التقوية ويقوى احيانا باستعمال المذيبات القلوية الجيدة .. وقد يكون الورق ضعيفا فتستعمل لتقويته وسائل اخرى كتبطينه في وضعه بين ورقتين شفافتين من اسيتات السيلولوز .

٢ ـ وجود الحوامض Presence of acidity

ان الحوامض حتى لو كانت ذات تركيز واطيء فانها تعرض الورق للتلف تدريجيا ولعل احد الاسباب التي تجعل الحوامض موجودة في الورق ان الورق لم يكن قد نقي منها تماما عنـد صنعها كما ان وجود غازات الكبريت في الجو لا سيما في المدن الصناعية هي الأخرى مصادر لتكوين الحوامض فاذا وجـد الحامض في الورق فيمكن ازالته بمذيبات قلوية معادلة للمواد الحامضية في الورق غير انه ليس بالامكان اتباع هذه الطريقة في المخطوطات خوفا من ان يزال حبرها ولهذا قد تستعمل الغازات القلوية المعادلة للحموضة ولكن تأثيرها اقل من الطريقة الاولى. ولم تكن الاحماض وحدها التي تسبب الضرر في المخطوطـات وانما تماس اوراق المخطوطات مباشرة بعضها مع البعض الاخر يزيد فعالية هذه الحوامض فيكون ضررها معادلا لتلك الاضرار التي ذكرناها سابقا ولابد ان نفحص الورق الذي نختاره لحزم وتغليف المخطوط للتأكد من ان الورق المستعمل ذو نوعيـة جيدة وخال من الاحماض .

٣ ـ البقع Stain

ان الكثير من المخطوطات والصور المرسومة على الـورق تظهر عليها بقع قد يكون من اسباب تواجدها رداءة الحفـظ والتخزين . وعالج هذه الحالاتبان تغسل بالماء المقطر او

common on paper. The treatment for which is washing with plain water or a dilute solution of a detergent. But care must be taken that ink is not washed away too.

Stains are also caused by the use of bad adhesive tapes or cellotape. Cellotape must never be used for sticking papers of manuscript. It not only stains the paper, it also weakens paper considerably.

We also find sometimes brown spots on the surface of paper. This defect is largely due to the discoloration of iron salts sometimes present in paper. Some manuscripts have rust spots which are due to faulty storage in iron boxes.

4. Insects

Insects of various types are probably the greatest enemy of paper. An insect called silver-fish damages mostly the surface of paper. Book-worms which drill holes through the paper are also common. Termites can reduce paper to small bits in no time.

5. Fungus

Another danger to paper is because of fungus. Fungus grows in places of high humidity. Storage of manuscripts should be in dry places. If a manuscript gets soaked with water, immediate action should be taken to dry it, otherwise fungus is bound to grow. There must be good ventilation in store-rooms for manuscripts.

6. Effect of Ink and Pigment

Certain pigments and inks have the property to make the paper brown and ultimately eat it. In those portion where such pigments are used, the paper becomes brown and weak. Sometimes the whole design is seen as a brown or black image at the back of the manuscript. In advanced cases of deterioration paper from such portions falls off completely. So far no method is known which can stop this type of deterioration.

7. Flanking Paint

Certain manuscripts have paintings in them. Paint is seen to flake off the paintings.

باستعمال الذبابات المخففة من الطهرات على ان تتجنب فسل الحبر كما قد يكون من اسباب تواجدها ايضا استعمال اشرطة اللصق الرديئة او خيوط واشرطة الربط والحزم لهذا يجب الا تستعمل الاربطة لحزم الاوراق النزجة من المخطوطات فضلا عن تجنب ربط وتغليف الأوراق الحساسة ايضا .

وقد تظهر احيانا بقع سمراء على اوراق المخطوط وهذا العيب يتطلب تغيير اللون باستعمال املاح الحديد وتعرض الاوراق المصنوعة في الوقت الحاضر واوراق المخطوطات الاخرى للظهور بقع مصدئة تحدث نتيجة للخطأ في وسائل تخزينها في صناديق حديدية .

٤ ـ الحشرات Insects

ان الحشرات بانواعها المختلفة ربما هي اعظم اعداء الورق فهناك حشرة تدعى حشرة السمك الفضي Silver Fish تلحق ضررا على سطح الورقة وهناك دودة الكتب Book worms التي تحدث الثقوب والفتحات خلال الورق كما هو شائع ومعروف والارضة termites التي تقضم الورق وتحطمه الى قطع صغيرة باسرع وقت .

٥ ـ الفطريات Fungus

هي الاخرى خطر على الورق ان هذه الفطريات تنمو في اماكن ذات رطوبة عالية ومن هنا لابد ان تكون مخازن المخطوطات في اماكن جافة فاذا تصادف وتشرب المخطوط بالماء فلابد ان يؤخذ حالا ذلك القسم المشرب ويجفف ... وقد تنمو الفطريات في مواد التجليد ولهذا ايضا يجدر ان تكون غرف الخزن ذات تهوية جيدة .

٦ ـ تاثير الحبر والمواد الصبغية الاخرى

Effect of ink and pigment.

بعض الاصباغ او الحبر لها قابلية في تحويل الورق الى اللون الاسمر وقد يؤدي به الى التاكل وفي هذه الاقسام من اوراق المخطوطات التي استعملت هذه الاصباغ تصبح الاوراق سمراء وضعيفة وتبدو احيانا اقزخارف بشكل اسمر او اسود لا سيما تلك التي على جلد المخطوط وفي هذه الحالات فقد لا نجد وسيلة فعالة لايقاف هذا التلف اذ يتعذر اصلاحها ...

٧ ـ قشرة الصور Flakin paints

بعض المخطوطات تتضمن صورات ويحدث ان تنقى هذه الصور بقشرة ان القشرة على الصور امر اعتيادي ومالوف في

Flaking of paint is a common defect seen in paper manuscripts.

Flaking of paint from a painting could be described to many causes.

i. Too weak or too strong a binding medium.

ii. Acciedntal blow at the back of the support.

iii. Mishandling of the painting.

iv. Changes in the climatic conditions of the environment surrounding the manuscript.

8. Fading of Writing

In many manuscripts colour and ink seems to fade. The one single factor most responsible for fading of colours is light. Light, especially ultra-violet light, has serious damaging effect on colour and on paper. Sun-light, even indirect, is very harmful to paper. It must be avoided in places exhibiting or storing manuscripts.

الخطوطات وتعرف هذه القشرة في المصورات لاسباب كثيرة منها :

١ ـ اذا كان التجليد اضعف او اقوى من المعدل المطلـــوب لتجليد الكتاب .

٢ ـ نتيجة حدث طارىء على كعب الكتاب يفقده القدرة على الحفـــاظ .

٣ ـ سوء تداول المصورات .

٤ ـ تبدل الظروف المناخية المحيطة بالمخطوط .

٨ ـ تغير لون الكتابة Fading of writing

ويتعرض الحبر والصور في كثير من المخطوطات الى تغير في لونهما وواحد من اهم العوامل المسؤولة عن تغير الوانها هو الضوء ان الضوء ولا سيما ultra violet الضوء الازرق الشديد القوة اذ هو اكثر ضررا وتاثيرا على اللون والورق كما ان ضوء الشمس حتى غير المباشر هو الاخر مضر جدا ولهـذا يجب تجنب هذا الضوء في اماكن عرض المخطوطات او مخازنها .